دولة بنى مرين

نسب بنى مرين ومبدأ أمرهم

٥٩١- ٨٧٥ هـ / ١١٩٥-١٤٧٠م

أ.د. نادية حسني صقر
أستاذ متفرغ التاريخ الإسلامي
والحضارة الإسلامية
كلية الآداب– جامعة كفر الشيخ

بنو مرين بطن من بطون قبيلة زناته البربرية الشهيرة والتي ينتمي إليها عدة من القبائل التي لعبت أدواراً بارزة في تاريخ المغرب مثل مغراوة وجراوة وعبدالواد وغيرهم ورفع البعض نسبهم عن جدعن الأمير عبدالحق[١] إلى أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبى طالب رضي الله عنه[٢] ومع ذلك، فإن بني مرين يرجعون نسبهم إلى العرب المُضَريّة باعتبار أنهم ينتسبون إلى بر بن قيس عيلان بن مضر بن نزار. وكانت قبائل بني مرين في بداية أمرها من العشائر البدوية المتنقلة تجول في صحاري المغرب الأوسط وهضابه وتسير نحو المغرب الأقصى في الصيف.

ومع بداية القرن السابع الهجري، نشبت الحرب بينهم وبين عبدالواد، فتوغلوا في هضاب المغرب ونزلوا بوادي ملوية الواقع بين المغرب والصحراء، وأقاموا هناك حينًا ولم تخضع قبيلة بني مرين لنفوذ الموحدين، فأثروا الهجرة إلى الصحراء على عكس بني عمومتهم بني زيان، وبني وطاس ١٢١٢م[٣] لم يكن لقبيلة بني مرين بقعة جغرافية محددة

---

(١) انتخبته القبيلة بعد وفاة أبيه سنة ٥٩١، وهو مؤسس دولي بني مرين، السعيد سليمان جـ١، ص٨٩.
(٢) إسماعيل بن الأحمر: روضة النسرين في دولة بني مرين، ص ٨–٩.
(٣) ابن أبى زرع: الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية.
مؤلف مجهول: ص٥٢–٥٣، الجزائر سنة ١٩٢٠.

تقيم بها بل شأن غيرها من البدو الرحل الذين وصفهم ابن خلدون[١] بالمتوحشين الذين ليس لهم وطن ولا بلد يجنحون إليه، فنسبة الأقطار والمواطن إليهم على السواء. وكانوا يقومون في فصلي الربيع والصيف بالإغارة على التلال الشرقية لبلاد المغرب الأقصى حتى إذا أقبل الشتاء، رجعوا، فكانت إقامتهم من زاب إفريقية إلى سجلماسة، يتنقلون في تلك الصحاري لا يدخلون تحت حكم سلطان ولا يؤدون ضريبة، شغلهم الصيد والإغارة على أطراف البلاد، واستخدم المرينيون آنذاك حصن "تزوطا" لحفظ أمتعتهم وجعوبهم مما مكنهم من التنقل في الصحراء بكل اطمئنان بعيداً عن السلطة المركزية والتزاماتها[٢] .

وكانت قوي الموحدين بدأت تضعف ثم تضعضعت بعد موقعة العقاب سنة ٦٠٩هـ-١٢١٣م وتعد دولة الموحدين من الدول العظيمة التي قامت في بلاد المغرب "الإسلامي"، حيث استطاعت توحيد بلاد المغرب من برقة شرقًا إلى المحيط غربًا، ومن سواحل البحر المتوسط إلى مشارف أفريقيا المدارية جنوبًا بجانب سيطرتها على بلاد الأندلس مع إسهاماتها الحضارية المختلفة. ولقد قامت دولة بني مرين على أنقاض دولة الموحدين.

ولقد ضعفت دولة الموحدين نتيجة عدة عوامل بالغة للأهمية:

١- ضعف الجبهة الداخلية عند الموحدين، وتعرض أمنها الخارجي للتهديد والخطر كتمرد بنوغانيه (من المرابطين) أمراء ميورقة على الدولة – ثم تعرض المدن المغربية الساحلية لهجمات عسكرية من قبل الممالك النصرانية الإسبانية.

٢- الصراع على السلطة واستبداد الوزراء وسوء تصرف الأشياخ.

٣- الكوارث الطبيعية والبيئية، كوباء الطاعون الذي عم سنة ٦١٠هـ-١٢١٣م، ثم اجتياح الجراد للبلاد عامي ٦١٧-٦٢٤هـ/ ١٢٢٠-١٢٢٦م، فخلف قحطاً شديداً ومجاعة ثم السيل العظيم بفاس فهدم السور والمنشآت وعودة الوباء حتى كان يدفن

---

(١) المقدمة ص١٤٥.

(٢) الزركلي: خير الدين، الأعلام، جـ٣، ص٢٨٢.

كل مائة في حفره واحدة أي مدافن جماعية نتيجة سوء الأوضاع الاقتصادية بعد المجاعة والغلاء.

٤- قيام الثورات وحركات التمرد والنزاعات الاستقلالية.

٥- الهزائم المتتالية التي وقعت على دولة الموحدين من الممالك النصرانية وأهمها:

هزائم الموحدين في معركة العقاب[١] واستسلام بعض القلاع الإسلامية للنصاري ذلك مما أضعف المسلمين بالمغرب والأندلس وقضى على معظم نفوذها وحصونها[٢].

هكذا أدى الفراغ السياسي والعسكري وسوء أوضاع الدولة الموحدية الذي نتج بعد موقعة العقاب وموت خليفتها الرابع أبو محمد الناصر سنة ٦١٠هـ إلى دخول البلاد في حالة فوضى خاصة أنه خلف الناصر المهزوم، ابنه الطفل يوسف المنتصر ٦١٠-٦٢٠هـ الذي لم يكن ليحسن التدبير.

جهود المرينين في تشييد صرح دولتهم:

في هذه الظروف، دخلت أولى طلائع المرينين بلاد المغرب الأقصى دون اعتراض يواجههم من أحد، بل وجدوا أرضًا خصبة عذبة الماء فأعقبهم بقيتهم[٣] فدخلوا متتابعين بأعداد هائلة وتزعم المرينين عند دخولهم المغرب الأقصى الأمير أبي محمد عبدالحق بن محيى بن أبى بكر بن[٤] حمامة الذي اختاره شيوخ بني مرين أثر وفاة والده سنة ٥٩٢هـ-١١٩٦م وكان فيه وفي ذريته الملك والرياسة، وهو أول من ساعد بن مرين على الانتقال

---

(١) المراكشي : عبدالواحد محيى الدين محمد بن عبدالواحد بن على التميمي: ت٦٤٧هـ-١٢٤٩م المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص٣٢١.

(٢) المقرى: نفخ الطيب، جـ١، ص٤٤٦ وما بعدها.

(٣) ابن أبى زرع: علي بن عبدالله أبى زرع الفاسي: ت٧٤١هـ-١٣٤٠م.
الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية سنة ١٩٧٢، ص٢٦.

(٤) ابن الأحمر : أبى الوليد إسماعيل: ت٨١٠هـ-١٤٠٧م.
روضة النسرين في دولة بني مرين، الرباط ١٩٦٢.

من مرحلة البداوة إلى التوجه نحو بناء الدولة، فهو الذى احتل مكناسه وتازا وأخذ يغير[١] غربا رغم أنه كانت هناك فلول الدولة الموحدية المتهالكة تحاول الإبقاء على كيانها، وهناك دولة بني عبد الواد ولكنه تغلب على كل ذلك ويعتبر عام ٦١٣هـ بداية الدولة المرينية حين حققت النصر على الموحدين في أول اشتباك معهم وتوغل في جنبات المغرب الأقصى ووصل إلى أحواز فاس بعد مقتل عبد الحق تولى أو خلفه[٢] ولده أبو سعيد عثمان الملقب أردغال ومعناه الأعور[٣] ٦١٤ – ١٣٧هـ – ١٢١٧ – ١٢٤٠م والذي استطاع أن يفرض سيطرته فبايعته كل قبائل هوارة وتسول ومكناسه وبطوية وفشتالة وبهلولة ومديونة وفرض عليهم الخراج وفرق فيهم العمال كما فرض على فاس ومكناسه وتازا وقصر كتامة ضريبة معلومة كل عام مقابل كف الغارات عنهم واعترافهم بنفوذه السياسي[٤].

وكان استيلاء بني مرين على فاس بعد حصارها ٦٤٨هـ – ١٢٥٠م أعظم ضربة أصابت الموحدين وهي حاضرة المغرب فكان ذلك نذير الانهيار النهائي ثم استولوا على سجلماسة ودرعة (٦٥٥هـ) ولما توفي أبو يحيي سنة ٦٥٦هـ تولى أخوه أبو يوسف[٥] يعقوب بن عبد الحق من بعده رئاسة بني مرين فجعل مدينة فاس حاضرة الدولة. وفي سنة ٥٧هـ نشبت الحرب بين بني مرين وبني الأمير يغمراسن بن زيان ملك المغرب الأوسط وزعيم بني عبد الواد، فهزم وارتد إلى تلمسان كانت الموقعة الحاسمة بين الموحدين وبني مرين، أواخر سنة ٦٦٧هـ ١٢٩٩م سار الواثق بالله المعروف بأبي دبوس خليفة الموحدين من مراكش لقتال بني مرين فهزم الموحدون بعد معركة شديدة وقتل عدد كبير منهم الواثق،

---

(١) الزركلى : خير الدين ، الأعلام ، ج٣، ص ٢٨٢.
العبادي : الدكتور أحمد مختار : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٠٥.
(٢) زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ، ج ١، ص ١٢٢.
ستانلى لن بول : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، ترجمة السعيد سليمان، ج١، ص٨٩.
(٣) ابن خلدون : العبر ، ج٧، ص ١٧٠. ابن الأحمر : روضة النسرين في دولة بني مرين ، ص ١٩.
(٤) المصدر السابق (ابن خلدون) ، ج٧، ص١٧٠–١٧١.
(٥) ابن الأحمر : أبو الوليد إسماعيل ، روضة النسرين في دولة بني مرين ، ص١٧ وما بعدها.

واستولى أبو يوسف على معسكرهم ومونهم و غنائمهم ثم سار إلى مراكش فدخلها في التاسع من المحرم سنة ٦٦٨هـ وتسمى بأمير المسلمين، وبذلك انتهت دولة الموحدين في المغرب كما انتهت في الأندلس، بعد أن عاشت نحو قرن وثلث . واحتلت مكانها دولة بني مرين فصارت تسيطر على المغرب الأقصى كله[١] .

ومن الجدير بالذكر، أن جهود المرينين في بناء وتشييد دولتهم واستخلاصها من أيدي الموحدين لم يتم ذلك في شهور إنما في سنين طوال وفي ذلك يقول ابن خلدون "وكذا بنوا مرين خرجوا على الموحدين فمكثوا يطاولونهم نحوًا من ثلاثين سنة، واستولوا علي كرسيهم بمراكش"[٢]. وبعد سقوط مراكش عاصمة الموحدين، دانت بلاد المغرب لبني مرين، فقام السلطان يعقوب بن عبد الحق بمجهود كبير من أجل تثبيت دعائم دولته وفرض سيطرتها على كافة الأقاليم والتصدي للفتن والثورات التي لم تفت تندلع بين الحين والآخر، واتجهت أنظار أبو يوسف يعقوب إلى الاستيلاء على طنجة وسبتها؛ نظرًا لأهميتهما الاستراتيجية فهم مرفأ للسفن والأساطيل وبهما دور لصناعة السفن وهما المعبران الوحيدان إلى الأندلس، حيث ميدان الجهاد المريني[٣]. وبسقوط سجلماسة أكمل يعقوب سيطرته على جميع أراضي المغرب الأقصى من وادي ملويه شرقا إلى الأطلسي غربا ويمن البحر المتوسط شمالا إلى سجلماسة جنوبا ويدين له بالطاعة.

ومن الجدير بالذكر، إن دولة بني مرين لم تستند في قيامها إلى دعوة إصلاحيه أو مرجعية دينية خاصة كما فعلت الدول التي سبقتها ، بل قامت نتيجة الفساد وسوء الأوضاع والاضطرابات التي حلت بالمغرب بعد موقعة العقاب وان كانت فعلا دولة عسكرية مجاهدة

---

(١)عنان : محمد عبد الله : نهاية الأندلس – العصر الرابع من كتاب دولة الإسلام في الأندلس ص ٩٧
ابن خلدون : العبر ، ج٧، ص١٨٢ ، السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ج١، ص٨٩.

(٢) المقدمة ، ص ٣٠١.

(٣) ابن خلدون : العبر ، ج٧، ص ١٨٥

جعلت من الجهاد في الأندلس[١] هدف مباشرة لقيامها. وقد حاول المرينيون جمع كلمة المغرب العربي وتوحيده كما كان الحال في عهد بني عبد المؤمن ونجحت في بعض الأوقات أن تمد نفوذها إلى بعض نواحي من الجزائر أو تونس لكنها اصطدمت بمقاومة عنيفة من جانب بني عبد الواد، والحفصيين فاقتصر نفوذها آخر الأمر على المغرب الأقصى حتى الأطلسي غربا[٢] وسجلماسة جنوبا.

وفي ذلك يقول ابن خلدون الما فتح السلطان أبو يوسف بلاد المغرب وانتظمت أمصاره طاعته، وغلب الموحدين على دار خلافتهم، ومحا رسمهم وافتتح طنجة وطوع سبته مرفأ الجواز إلى العدوة وهز المغرب، سما أمله إلى بلاد القبلة فوجه عزمه إلى افتتاح التي كانت بيد يعمر اسن بن زيان وعرب المنبات من ذوي منصور، وقد خرج السلطان يعقوب باتجاهها في شوال سنة ٦٧٢هـ نيسان ١٢٧٤م[٣] قامت القوات المرينية بمحاصرة المدينة والشروع في منابذتها القتال ودك حصونها وأسوارها بآلات الحرب مما أدي إلى تهدم معظم أسوارها .. ولما دخلها بعقوب عفا عن أهلها وأمنهم على ممتلكاتهم وقامه بتعيين عماله عليها وذلك في ربيع الأول سنة ٦٧٣هـ–١٢٧٤م.

سياسة دولة بني مرين تجاه مملكة غرناطة الأندلسية :

اعتمدت سياسة دولة بني مرين في التعامل مع مملكة غرناطة الأندلسية على مجموعة من الثوابت الواضحة أهمها استغلال كافة الفرص التوجيه الحملات العسكرية إلى الأندلس النجدتها حماية لمملكة غرناطة الإسلامية ودعما لها من خطر حروب الاسترداد النصرانية[٤]، واستجابة للاستغاثة التي كثيرا ما وجهها ملوك بني الأحمر في غرناطة مدفوعين برغبتهم في الجهاد الإسلام في سبيل الله، وكان من ضمن تلك الثوابت أو

---

(١) محمد ماهر حمادة : الوثائق السياسة والإدارية في الأندلس وشمال أفريقيا ، ج٧، ص ٩٩.
(٢) ابن خلدون : العبر ، ج٧، ص١٨٨–١٨٩.
(٣) ابن خلدون : العبر ، ج٧، ص١٨٨ وما بعدها.
(٤) أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، ص٢٠٧.

المبادئ الأساسية في ذلك عدم التدخل في الشئون الداخلية الغرناطية . حرصا على سيادتها السياسية ، وقد نظرت الدولة المرينية إلى غرناطة باعتبار أن كل من الدولتين دعما للأخري وقوة لا غنى عنها، وأن الاعتداء على الأندلس هو اعتداء على المغرب، إلا أن حرص المرينين على الجهاد في أسبانيا ومساعدة مملكة غرناطة الإسلامية لم تلق الصدى المطلوب والمتوقع من غرناطة ، فقد جاء موقف غرناطة مختلفة، فقد تراوحت سياساتها ما بين الاستجابة بالتعاون مع المرينيين أحيانا للدفاع عن كيان دولة غرناطة وبين التوجس والخوف أو الشك في نوايا دولة بني مرين خشية التدخل في شئونها [غرناطة] بل ومحالفة النصارى ضد المرينين أحيانا أخرى.

بعد أن قامت دولة بني مرين ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م على أنقاض دولة الموحدين وتمكن السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني من السيطرة على كامل أراضي المغرب الأقصى بفتح مدينة سجلماسة عام ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م، نظرت إلى الأندلس نظرة الحماس والرغبة في الجهاد بالمال والسلاح[١] ضد الممالك النصرانية الأسبانية. واقتضت هذه السياسة العمل على الاحتفاظ بقواعد عسكرية في جنوب الأندلس مثل رندة، جبل طارق، الجزيرة الخضراء، طريف، مربلة. فقد اشترط السلطان المريني أبو يوسف يعقوب، على ابن الأحمر حينما استنجد به التنازل عن بعض الثغور والقواعد جنوبي الأندلس. وأدرك بنو الأحمر ملوك على مواجهة الأخطار المحدقة بهم غرناطة أهمية التحالف مع بني مرين في دعم قدرتهم على مواجهة الأخطار المحدقة بهم خاصة محمد بن يوسف بن نصر بن الأحمر الذي وجه قبيل وفاته نداء استغاثة للسلطان المريني يعقوب بن عبد الحق من أجل وقف الزحف القشتالي بقيادة الفونسو العاشر[٢] على الأراضي الأندلسية وإن كانت الاستجابة لهذه

---

(١) المقرى : نفخ الطيب ، المجلد ٤، ص ٣٨٥.

(٢) الفونسو العاشر : أبرز ملوك قشتاله في القرن الثالث عشر ، سمي العالم والحكيم ذلك لسعة اطلاعه واشتهاره بالعلم والشعر والأدب توفي سنة ١٢٨٤م وخلفه ابن سانشو ، سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ١، ص ٥٤٢، وما بعدها.

الاستغاثة لم تتم إلا بعد وفاته ، في أيام ابنه الثاني الملقب بالفقيه والذي أوصاه والده بأهمية وضرورة الاستعانة بالمرينين لصد الأخطار.

يعتبر عصر أبي الحسن على (٧٣١م/ ١٣٣١هـ – (١٣٥١/٧٥٢) وولده أبى عنان فارس ١٣٥١/٧٥٢ – ١٣٥٨/٧٥٩ هو ذروة عظمة الدولة المرينية ذلك أنه قد عادت الوحدة إلى أقطار المغرب جميعها وإن كان ذلك لمدة قصيرة.

كانت البداية هي ما جرى من نزاعات على السلطة في الدولة الحفصية، وتدخل هذه النزاعات وسعوا لضم البجاية" إليهم مما حفز بعض أطراف الصراع إلى الاستنجاد بالسلطان أبي الحسن والذي كانت بينه وبينهم مصاهرة، فتوجه بجيوشه شرقا وأزاح بني زيان عن تلمسان وذلك ١٣٣٧/٧٣٧ ثم أثبتهم في الديوان وفرض لهم العطاء، ثم اتجه إلى الجهاد في الأندلس[١]. ثم عاود التوسع في عام ٧٤٨/ ١٣٤٧ ودخل تونس لتمتد مملكته من مسراته إلى السوس الأقصى وإلى رندة من عدوه الأندلس. لكنه أساء معامله أصهاره الحفصيين وإلى الحرب الهلالية، فحرمهم من إقطاعاتهم واكتفى بأعطياتهم من الديوان، مما أسفر عن ثورتهم[٢] فأوقعوا به هزيمة كبرى على مقربة من القيروان، هذه الأثناء وصلت إلى أبي الحسن الأخبار بأن ولده أبا عنان خرج عليه بفاس، وأعاد بني زيان إلى ملكهم بتلمسان فعاد أبو الحسن إلى بلاده[٣] وأخفق في حروبه ضد ولده وضد بني زيان ونكبته أهوال عظيمة[٤].

عنان : دولة الإسلام العصر الرابع ، ص ١٧٠.

(١) عنان ، عبد الله : نهاية الأندلس العصر الرابع ، ص ١٢٧ وما بعدها.

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج٧، ص٢٧٣.

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٧٩.

(٤) ابن خلدون : العبر ، ج٧، ص٢٨٣–٢٨٠ ، عنان : نهاية الأندلس ، العصر الرابع ، ص١٢٨

سار أبو عنان على سياسة والده التوحيدية فعدل عن مسالمة بني زيان وغزاهم وتابع سيره فدخل تونس في ١٣٥٧/٧٥٨، ولكن الأمور لم تستتب بسبب ثورة الهلالية وامتناعهم بالصحراء.

وقد استمرت العلاقات الطبيعية مع بلاط غرناطة كما كانت في عهد أبيه[١] وتبودلت خلالها الرسائل والشعارات، منها سفارة خاصة عقدها ملك غرناطة أبو الحجاج يوسف لوزيره لسان الدين بن الخطيب سنة ٧٥٢هـ/١٣٥١م وحمله فيها رسالة إلى أبى عنان يعزيه فيها عن وفاة والده، ويهنئه فيها باعتلاء عرش الدولة المرينية، ويخبره فيها بأحوال المسلمين في الأندلس، وما يعانونه من جراء الاعتداءات الإسبانية وحاجة الأندلسيين إلى عون ودعم المغاربة[٢] استمرت سياسة الجهاد فما لأندلسي واهتم بالأسطول لحد بعيد مثل أبيه من قبل.

ضعف الدولة ونهايتها:

بعد موت أبى عنان انفرط عقد[٣] الوحدة في بلاد المغرب، فقد عاد بنو حفص إلى تونس، وعاد بنو زيان إلى تلمسان، وأصبح ملك بني مرين يقتصر على المغرب الأقصى، حتى أن دورهم الجهادي في الأندلس تراجع بعد أن وقعت بهم هزائم عدة هناك، وصارت إمكاناتهم لا تتعدي الحفاظ على ثغورهم من العدوان الخارجي عبر البحر، وقد اشتد ساعد النصاري بالأندلس على السواحل المرينية.

---

(١) ابن خلدون: العبر، جـ٧، ص٣٣٣، العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص٤٢٣.

(٢) أنظر نص الرسالة في ابن الخطيب: لسان الدين محمد بن عبدالله التلمساني: كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تحقيق د. محمد كمال شبانه، مراجعة د. حسن محمود، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

(٣) ابن خلدون: العبر، جـ٧، ص٢٩٩ وما بعدها.

وقد توالى على حكم الدولة حكام ضعاف بل بعض الصبية[١] فعجزوا عن فرض طاعتهم على أطراف الدولة، وطمع فيهم بعض أفراد الأسرة الحاكمة بل بعض العرب الهلالية، كما تزايد نفوذ الوزراء[٢] من بنى وطاس على الحكام، وقد تكرر تدخل سلطان غرناطة في شئون الدولة الداخلية مما أدى في النهاية بالتطلع إلى مد سلطانه إلى الدولة ووصل الأمر إلى اعتراف المرينيون بالطاعة له، وقد حاول السلطان أبو محمد عبدالحق من ٨٣١هـ/١٤٢٧م أن يصلح الأحوال، فأبعد الوزراء الوطاسيين وقتل بعضهم ولكنه فشل في تحقيق هدفه[٣] وإعادة الأمور إلى نصابها وكان حكمه مرحلة الفصل بين حكم بني مرين وحكم بني وطاس، الذين هم فرع من بنى مرين غير الفرع الذي ينتمي إليه بنو عبدالحق.

انتهي الأمر بإلقاء القبض على السلطان عبدالحق وانتزعت منه شارات الملك وسبق إلى مصرعه يوم الجمعة ٢٧ رمضان سنة ٨٩٦هـ/ نيسان ١٤٦٥م، واستقرت الأمور للشريف أبو عبدالله الحفيد حتى سنة ١٤٧٠/٨٧٥ حيث تم عزله من قبل أبي الحجاج يوسف بن منصور بن زيان الوطاسي، وقد تولى الأمر بعد ذلك أبو عبدالله محمد الشيخ بن أبي زكريا الوطاسي في رمضان سنة ٨٧٦هـ/١٤٧٢[٤] مؤسساً بذلك الدولة الوطاسية أو الفرع الوطاسي.

وقد حكم من بن وطاس أربعة سلاطين خلال الفترة من ١٤٧٢/٨٧٧هـ–١٥٤٩/٩٥٦م ولم تتجاوز سيادتهم فاس وأحوازها، فقد وضع نصاري الأندلس أيديهم على

---

(١) المصدر السابق، ص٣٠٠/ ابن الأحمر: روضة النسرين، ص٣٣.
(٢) ابن خلدون: العبر، جـ٧، ص٣٠٥–٣١٣، المقري: نفح الطيب، جـ٨، ص١٣٤.
(٣) ابن خلدون: العبر، جـ٧، ص٣٢٣، ابن الأحمر: روضة النسرين، ص٣٣.
السلاوي: الاستقصاء جـ٤، ص٩٦.
(٤) الناصري السلاوي: الاستقصاء، جـ٤، ص١١٩ وما بعدها.

كثير من السواحل كما خرجت عن حكمهم كثير من أنحاء المغرب الأقصى وقد سبق هؤلاء عدد من الوزراء والأمراء من بنى وطاس.

حضارة الدولة المرينية:

ويتسم العصر المريني بنهضة عمرانية كبرى، فقد تم إنشاء مدن جديدة أهمها مدينة فاس الجديدة[١] بجوار فاس القديمة، وتسمي المدينة البيضاء. وهي مدينة عسكرية الطابع مقرات للقيادة ومعسكرات الجند، بها القصور والجوامع والأسواق والحمامات والقناطر والصوامع. وكذلك مدينة تلمسان الجديدة: اختطها السلطان يوسف بن يعقوب بجانب تلمسان وسماها المنصورة فيها القصور والدور والحمامات والمستشفي والأشجار والبساتين، كذلك مدينة تطاوين وهي تطوان، تم تجديد جامع القرويين وعدد من المساجد والمدارس.

وإتسم العصر أيضاً بنهضة علمية كبيرة[٢]، فقد كانت المغرب ملاذًا لكثير من المسلمين الفارين من الأندلس نتيجة للزحف النصراني نهلوا من التراث الثقافي الذي خلفه المرابطون والموحدون. لقد دعم المرينيون مؤسسات التعليم العالي حتى قيل أن جامعة فاس أقدم جامعات العالم وهي وريثة مدارس القيروان، فظهر فطاحل العلماء والفقهاء والأدباء مثل ابن الخطيب، والعلامة ابن خلدون، وابن عذاري المراكشي، وابن بطوطة وابن أبي زرع الفاسي، كان عصر تشجيع العلم والتأليف والكتابة مجالس العلماء[٣] وتشييد المنشآت الثقافية مثل مدرسة الصفارين، مدرسة فاس الجديدة، مدرسة الصهريج ومدرسة العطارين، والمدرسة العظمي، المصباحية، والبوعنانية[٤] التي تعد من أعظم مدارس فاس بناها السلطان أبو عنان بن أبى الحسن.

---

(١) ابن الأحمر: روضة، ص١٩–٢٠، الناصري السلاوي: الاستقصاء، جـ٣، ص٤٤.

(٢) ابن خلدون: العبر، جـ٦، ص١٠٥.

(٣) الناصري السلاوي: الاستقصاء، جـ٣، ص٢٠٥–٢٠٦.

(٤) المصدر السابق: ص١١١–١١٢، ابن بطوطة: تحفة النظار، جـ٢، ص٧٧٢، السلاوي: جـ٣، ص١٧٦.

وأهتم المرينيون ببناء المؤسسات الدينية[١] خاصة المساجد بالإضافة إلى الزوايا والأربطة، وقد اهتم السلطان يوسف بن يعقوب المريني بتوسعة وإكمال بناء جامع تازا الكبير[٢] والذي علقت به ثريا من النحاس وزنها اثنان وثلاثون قنطاراً أنفق السلطان عليها ثمانية آلاف دينار ذهبي[٣]. وبنى السلطان يوسف بن يعقوب مسجد سيدي أبي الحسن فى تلمسان، وبنى مسجد آخر عرف بالجامع الأحمر وبني السلطان أبو الحسن المرينى مسجد العباد في تلمسان ثم بنى مسجد آخر في فاس سمي باسمه. وقد اتسم نظام الحكم في الدولة المرينية بالفردية والوراثية وتلقب معظم السلاطين بلقب أمير المسلمين وأتبعوه بألقاب مثل: ناصر الدين، ملك العدوتين وآثر البعض منهم تلقيب نفسه بأمير المؤمنين مثل السلطان يعقوب بن عبد الحق، والسلطان أبو عنان فارس[٤]. وقد كانت للمرينين سكة خاصة بهم ويعتبر السلطان يعقوب بن عبد الحق أول من اهتم بالسكة وتنظيمها ، وصنع المرينيون معظم نقدهم من الذهب والفضة[٥].

واستطاع المرينيون تنظيم جيشهم وجعلوا منه مؤسسة عسكرية كما اهتموا بالأسطول وقد تكون الأسطول المريني من مجموعة من القطع البحرية التي توزعت على موانى الدولة كسبتة، وطنجة، وسلا، وباديس، وأول من اهتم بالأسطول هو السلطان يعقوب بن عبد الحق الذي أمر ببناء دار صناعة السفن بسلا، وواصل السلطان يوسف بن يعقوب الاهتمام بصناعة السفن، وقام ببناء دار لصناعتها في تطوان. واهتم السلطان أبو الحسن المريني[٦] المريني[٦] ببناء الأسطول حتى بلغ عدد سفنه أضعاف ما لدي الإسبان[١] النصارى فيني

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ج٦، ص١٠٥ – المقرى : نفخ الطيب ، ج٦، ص١٣٥.

(٢) جامع تازا الكبير : شيده الخليفة عبد المؤمن بن على الموحدى ، سنة ٥٥٣٩–١١٥م.

(٣) ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ، ص ٤٠٩، الناصري: الاستقصا ، ج٣، ص ٧٥.

(٤) ابن أبي زرع : الذخيره ، ص٩٠ – ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٣٠.

(٥) القلقشندي : صح الأعشى ، جه، ص ١٧٧.

(٦) المقرى : نفخ الطيب ، ج٦، ص١٢٠.

الأبراج والمناظر على طول الساحل الغربي وعلى الضفة الأندلسية لحراسة الشواط المغربية والأندلسية من السفن المعادية. لقد أدى الاستقرار السياسي والاقتصادي في الدولة إلى توفير الظروف المناسبة للإبداع الفكري والثقافي وارتقاء الحضارة فبرز العلماء في مختلف المجالات، فقاموا بدورهم في بناء نهضة حضارية ملموسة واضحة.

المصادر والمراجع:

١- أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة، جـ١، دار المعارف، مصر،

٢- ابن الأحمر : (أبو الوليد إسماعيل : ٨١٠هـ/١٩٠٧م ، روضة النسرين في دولة بني مرين ، الرباط ، المطبعة الملكية.

٣- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م.

أ- **العبر وديوان المبتدأ والخبر** في أيام العجم والعرب ومن عاصراهم من ذوي م السلطان الأكبر.

ب- المقدمة

٤- مجهول : الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، الجزائر سنة ١٩٢٠.

٥- الزركلى : خير الدين – الأعلام قاموس تراجم – دار العلم للملايين – بيروت.

٦- ابن ابى زرع : على بن محمد بن عبد الله الفاسي ت ٧٤١هـ / ١٣٤٠م، الأنيس المطرب بروضة القرطاس في أخبار ملوك المغرب.

٧- زامبادور : المستشرق الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، جـ١، أخرجه د. زكي محمد حسن – د. حسن أحمد محمود، مطبعة الجامعة، ١٩٥١.

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٥٩.

٨- السلاوي: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ته ١٣١هـ/١٨٩٧م ، الاستقصاء الأخبار المغرب الأقصى.

٩- العبادي : د. أحمد مختار ، دراسات في د تاريخ المغرب والأندلس.

١٠- سالم : د. سيد عبد العزيز ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية.

١١- ابن عذاري : أبو العباس أحمد المراكشي ت٧١٢هـ/١٣١٢م – البيان المغرب في أخبار المغرب ٤ أجزاء ، تحقيق ليفي بروفنسال ، وكولان ، طبعة بيروت ، ١٩٥٠.

١٢- عنان : محمد عبد الله ، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين ، وهو الجزء الرابع من كتاب تاريخ دولة الإسلام في الأندلس، الطبعة الثالثة ، القاهرة.

١٣- ماهر حماده : الدكتور محمد – سلسلة وثائق الإسلام ، ج٧ والوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمال أفريقيا.

١٤- المقري : أحمد بن محمد التلمسانى : ت ١٠٤٢ هـ/١٩٣٢م – نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج٤ ، تحقيق إحسان عباس.

١٥- المراكشي : محيي الدين عبد الواحد بن على ت١٤٧هـ/١٢٤٩م- المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، القاهرة ١٩٤٩.